الدعوة إلى اللّه
على منهاج النُّبوّة

تأليف
سعد بن عبد الرحمن الحصيّن

الطبعة الأولى

عام ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١م

ليس كل مايرد في منشورات
الرابطة معبراً عن رأيها

تأسيس

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

(من خطبة الحاجه كما رواها الامام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ)

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله على منهاج النبوة من أعظم القربات عند الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت : ٣٣ .

وقد اصطفى الله لها خير خلقه من الملائكة والأنبياء رسلاً ومن متبعي سنتهم دعاة على بصيرة، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ الحج : ٧٥ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف : ١٠٨.

أُسس الدعوة :

منهاج الدعوة الذي شرعه الله للدعاة إلى سبيله يقوم على ثلاثة أسس ثابتة ثبوت شرع الله لهذه الأمة :

١- الأمر بإفراد الله بالعبادة ، والنهي عن الشرك في العبادة : هو أساس الدعوة الأول والأهم المشترك بين رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم على اختلاف أزمنتهم وأماكنهم وأحوال أقوامهم ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥ ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة : ٣١ ، أما إفراد الله بالخلق والرزق والملك والإحياء والإماتة والتدبير ؛ فأغلب المشركين مُقرّون به بشهادة الله لهم بذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ ﴾ يونس : ٣١ .

٢- اليقين من كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة القرون المفضلة في نصوص الوحي ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية : ١٨

أما الفكر المبني على الظن والعاطفة ، فلا يجوز تحكيمه في أمور العبادة ومنها الدعوة ، قال الله تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ النجم : ٢٣ . وفَرْق كبير بين الفقه والفكر لابّد من مراعاته .

٣- اللين في القول والإحسان في المعاملة والإعراض عن الجهل ، قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران : ١٥٩، وقال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل : ١٢٥، وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف : ١٩٩ .

طريق الرُّسل في الدعوة :

بهذا أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سيد ولد آدم إلى الناس كافة ، بشيراً ونذيراً فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا الضالون ، وبهذا أرسل الله جميع رسله من قبل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وعلى هذا سار أصحابهم وحواريوّهم .

وبانقطاع الوحي بموت محمد صلى الله عليه وسلم، وبختم الرسالات بشريعة الإسلام الكاملة ، وجب على المسلمين تتبع هذا الطريق في الدين والدعوة، ونشر الإسلام في الأرض كما جاء به الوحي دون زيادة ولا نقصان، حتى يأتي أمر الله وتقوم الساعة .

حُكْم الدعوة :

الدعوة إلى الله فرض كفاية ، إذا قام بكفايتها بعض المسلمين صارت في حق بقية المسلمين سنة مؤكدة .

وإذا نقص القيام بها عن الكفاية عمّ الإثم من لم يقم بها وهو قادر على ذلك علماً وعملا .

ومن حق كل مسلم ومن حق الله عليه ، أن يدعو إلى الله على بصيرة حسب طاقته ، قال الله تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ البقرة : ٢٨٦ .

وبحسب ما وهبه الله من الصفات الجبلِّية المطلوبة للدعوة ، وبحسب ما اكتسبه من العلوم الشرعية الضرورية لأدائها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلِّغُوا عني ولو آية» رواه البخاري .

وعلى الإجمال ، فالدعوة إلى الله جزء مهم من الدين ، وهي الوسيلة الشرعية لحفظه ونشره ، ولا تبرأ ذمة الجماعة المسلمة ، ولا ذمة أفراد المسلمين إلا بأداء القدر المستطاع والضروري منها ، استجابةً لأمر الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران : ١٠٤

متطلبات التنفيذ :

في هذا العصر يسَّر الله أمر الدعوة إليه من جانب أدائها ، بتعدّد وسائل النشر والإعلام الحديثة من مطبوعات وأشرطة تسجيل وإذاعة وتلفاز وهاتف وجميع وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية .

ومن حيث قبولها ، بتوجه الناس في العقود الأخيرة في كل مكان ومن كل طائفة إلى البحث عن الدين وممارسته ، دون سبب ظاهر ، ولكن فضلاً من الله ونعمة.

وعلى ولاة المسلمين الاستفادة من هذه الأسباب التي يسّرها الله وشكر نعمته بامتثال أمره والدعوة إلى سبيله وحمل الناس على ذلك .

ولكي تقوم الأمة المسلمة بهذا الواجب الشرعي العظيم ، لا بد من توافر ما يأتي :

١- المنهاج الشرعي، مستنبطاً ومقيداً بالآيات والأحاديث ومتابعة خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى ربه ، ومبنياً على فقه أئمة القرون الخيّرة في الدين .

٢- الدعاة إلى الله على بصيرة من هذا المنهاج ، علماً وعملاً وخلقاً وتقيداً به ، حتى لا تصرف الجهود في الدعوة

لمصلحة فردية أو حزبية، أو طائفية ، وتعاون وتكافل أفراد المسلمين والـدول المسلمة في تـوفير العدد الكافي منهم .

٣- المقومات المادية والإدارية الضرورية لكفاية الدعوة من وظائف ورواتب وإعانات، تمكن الدعاة من التفرغ الجزئي أو الكلي للدعوة حسب الحاجة والمصلحة ووسائل التنفيذ ، وبالتعاون والتكافل بين المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في البلد الواحد وفي مجموع الدول المسلمة .

٤- المناخ الصالح للدعوة ، بإزالة العوائق التي تمنع أو تبطّئ مسيرة الدعوة، من عدم التقيد بمنهاج النبوة في الدعوة ، أوالولاء الضيق للحزب الديني أو الطائفة الدينية فقد حذّر الله من التفرق والتحزب في الدين ، قـال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩ ، وأمر الله بالتجمع على الدين والكتاب والرسول صلى الله عليه وسلم والمنهاج الشرعي ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ آل عمران : ١٠٣

معوقات الدعوة :

١- قلة عدد الدعاة عن الوفاء بالحاجة داخل أكثر البلاد المسلمة ، فضلاً عن الحاجة إلى الدعوة خارجها، ومن أسباب ذلك : قلة عدد وظائف الدعوة الحكومية ، وضعف الوازع الديني للتطوع بالدعوة ، وانشغال أكثر طلاب العلم الشرعي بتوفير متطلبات العيش التي تزيد وتتعقد مع مرور الزمن ، والعزوف عن تبادل الدعاة بين بلاد المسلمين .

٢- ضعف تأهيل كثير من الدعاة ، لاختلاط الظن باليقين ، والفكر بالوحي ، في مناهج بعض المعاهد الشرعية فضلاً عن الأحزاب والجماعات الدينية .

٣- إهمال المنهاج العلمي الشرعي للدعوة لدى بعض الدعاة ، واعتماد بعض الدعاة إلى الله على اجتهادهم، وهم في الغالب غير مؤهلين للاجتهاد، ونتج عن هذا دخول غير طلاب العلم الشرعي ميدان الدعوة، وحدث خلط في أوّليّات الدين والدعوة، وكثر الاهتمام بالصغائر دون الكبائر وتقديم المهم على الأهم .

٤- استغلال الدين والدعوة من قبل بعض الأشخاص، والطوائف والفرق للمصلحة الخاصة: فردية أو حزبية ، تجارية أو سياسية .

٥- وضع هدف الوصول إلى السلطة بين أهداف الدعوة ، من قبل بعض العاملين في مجال الدعوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع المؤمنين على السمع والطاعة لأمرائهم ، ولو كرهوهم ولو ظلموهم، وألا ينازعوا الأمر أهله ، كما في الحديث المتفق على صحته .

وبالتالي: فقد الثقة بين الداعي وعامة الناس، وبين الراعي والرعية، وبين أفراد المسلمين باختلاف طرقهم وأحزابهم في مناطق كثيرة من بلاد المسلمين وتردي العلاقة بين الراعي والرعية نتيجة لذلك.

منهاج النُّبوَّة في الدعوة إلى الله

خُلُق الدّعوة :

وجّه الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به إلى اختيار سبيل اللين في القول، والإحسان في المعاملة، والعفو والمغفرة والعدل سبيلاً لدعوة الناس جميعاً إلى دينه ، قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل : ١٢٥ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فصلت : ٣٤ - ٣٥ ، وقال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ البقرة : ٨٣ ، وقال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية : ١٤، وقال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة : ١٠٩ ، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة : ٨ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» ، متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم: « يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا » متفق عليه .

ولولي الأمر قرار مقابلة الاعتداء بمثله في حال الفتنة عن الدين ، ولم يأذن الله لرسوله بمقاتلة المشركين إلا بعد تحمل أذاهم ثلاث عشرة سنة انتهت بإخراجه من البلد الحرام ، وبعد أن رسخ الإيمان في قلوب جماعة المسلمين بالمدينة النبوية ، وتهيّأت لهم أسباب النصر، ومع ذلك فقد حرَّم الله على المؤمنين الظلم والاعتداء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ المائدة : ٢

لِمَنْ تُوَجَّه الدعوة :

منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة: توجيهها لجميع المكلفين ، للكبار والصغار ، للرجال والنساء للمسلمين والكافرين ، للصالحين ومن هم دون ذلك ، وقد خاطب الله بكتابه جميع المكلفين من خلقه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ ، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾

وجميعهم مخاطبون بما في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في كل مكان إلى أن تقوم الساعة ولا تصلح الدعوة إلا بشمولها لأصول الدين حسب أهميتها وأوّليّتها في منهاج النبوة : الاعتقاد والعبادات والمعاملات ، ومن خلال ذلك الآداب والأخلاق الشرعية

وقد اختل منهاج الدعوة في العصور المتأخرة، وقصر لدى بعض الناس، بسبب التزام بعض الدعاة بمناهج غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتكس سلم الأوّليّات في الدعوة، فَنُحِّيَ الاعتقاد، وانشغل الدعاة بالأقل في الأهمية أو ما ليس من الدين ، واقتصرت بعض الجماعات الدينية ودعاتها على نشر الآداب ، وآخرون

على الدعوة إلى النوافل وآخرون على الدعوة إلى تجنب الصغائر، وآخرون على محاولة اغتصاب السلطة بالقوة ومنازعة الأمر أهله.

علم الدعوة :

١ - الاعتقاد بوحدانية الله في استحقاق العبادة ، وأن لا يشرك معه فيها غيره ، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) أنه لا معبود بحق إلا الله، سبحانه عن الشريك والند والظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له ، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ سبأ : ٢٢ ، ٢٣ ، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ طه: ١٠٩.

وكان هذا أول ما خاطب به الأنبياء عليهم السلام جميعاً أقوامهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾النحل: ٣٦، ولم يتجاوزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة (ثاني أركان الإسلام) إلا بأمر الله بعد عشر سنوات من بعثته ، وكان يوجّه دعاته إلى أن يكون هذا أول مطلب لا يتجاوزونه حتى يقبل ، فقال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « إنك تأتي

قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله »« وفي رواية: إلى أن يوحّدوا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ». متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يبايع الرجال والنساء على ذلك قبل الهجرة، ويبايعهم على ذلك بعدها ، كما ثبت من حديث عوف بن مالك : « ألا تبايعون رسول الله »؟ قلنا : قد بايعناك فعلام نبايعك ؟ قال : «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً» .. الحديث ، «رواه مسلم.

وخاطب الله – سبحانه وبحمده – عباده بهذا قبل الهجرة ، فقال الله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه ﴾ الإسراء : ٢٣ ، وخاطبهم به بعد الهجرة فقال تعالى ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ النساء : ٣٦ ، وكان الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك أول ما خاطب به الرسل عليهم السلام أقوامهم :﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف : ٥٩-٨٤ وكان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم عند موته التحذير من الشرك ووجوب سدّ ذرائعه، كما صحّ عن أبي عبيدة رضي الله عنه أنه قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم : « ... واعلموا

أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » رواه أحمد ، وصحّ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : يحذر ما صنعوا . رواه البخاري ومسلم، وصحّ عن جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » رواه مسلم .

فالشرك بتعظيم قبور الأنبياء والصالحين أودعائهم أوالذبح أوالنذر لهم أوالاستغاثة بهم أوطلب المدد منهم ، هو أكبر الكبائر وهو أصل الأوثان والأصنام منذ قوم نوح، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ نوح : ٢٣ ، قال : (أولئك أسماء رجال صالحين لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً) ورواه ابن حبرير في تفسيره بنحوه .

٢- القرآن الكريم والسنة المعصومة : أشرف العلوم وأوثقها وأثبتها وأصحّها لغة ، وهما وحدهما علم اليقين الموحى به من الله – سبحانه وبحمده – إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. بل هما وحدهما العلم إذا أطلق في الآية والحديث الصحيح ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم: ٦ ، ٧. وقد فضّل الله تعالى تعلم القرآن وتعليمه على سائر العلوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » رواه البخاري، وفضّل الله هدي السنة على غيرها من الهدي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد وغيره، وأهم حقوق هذا العلم العظيم : التدبر بقصد العمل به وتبليغه، لا مجرد حفظه وتحفيظه والتبرك به وإحصاء حروفه وتدوينه، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة: ١٩ ، فمن تمسك بهديه أمن الضلال في الدنيا وأدرك الفلاح في الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » رواه الحاكم، وقال صلى الله عليه وسلم : «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ... » الحديث، متفق عليه ، ومن أعرض عن الوحي خسر الدنيا والآخرة قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ طه : ١٢٤ .

٣- الفقه في الدين : ويعني استنباط الأحكام الشرعية في الاعتقاد والعبادات والمعاملات والأخلاق من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، كما فهمها وعمل بها الأئمة الأعلام من سلف هذه الأمة في القرون الثلاثة الأولى بخاصّه، يو م كان الدين غضاً، لم تبعد به القرون عن هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم تخالطه البدع ، ولا غالبت العجمة لسانه الذي أنزل به، ولا أريد به الدنيا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » متفق عليه ، وفي رواية البيهقي عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما : «ثم يكون من

بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون »، وروى أحمد وأصحاب السنن وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه آخر حياته : «... وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة » .

٤- خطبة الجمعة : تختلف (وتتميز) عن غيرها من وسائل الدعوة بأنها عبادة توقيفية لها أحكامها الواجبة والمسنونة مثل بقية العبادات، وقد بيّن الله شرعه لها في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من المكان والزمان والقول والفعل والآداب ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ الجمعة:٩ والمقصود الخطبة مع الصلاة إذ أنها مكملة لها بدليل قول الله تعالى بعدها: ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ أي على المنبر تخطب، كما ذكره ابن كثير في تفسيره عن أبي العالية والحسن وقتادة وغيرهم، وعلى هذا فهي من علم **الدعوة**، كما أنها من أعظم وأفضل وسائلها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصرها على الثابت من شرع الله ويجنبها الحوادث والطوارئ، وتقيد بهديه في ذلك خلفاؤه

وأصحابه وتابعوه وأهل العلم من بعدهم ، ومن أصحّ ما ورد عن خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصرحه، ما رواه مسلم عن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت :

« لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً سنتين أو سنة و بعض سنة ، ما أخذت :

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ إلا عن لسان رسول ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس » على الرغم مما مرَّ في عصره من حوادث عظيمة،كالهجرة والغزوات وحديث الإفك ونحوها لم يذكر شيئاً منها في خطبة الجمعة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويشير بإصبعه ويرفع صوته ، ويعلم أمته شرع الله: يدعوهم إلى إفراد الله بالعبادة ويحذرهم الشرك ويذكرهم آلاء الله، ويرغبهم في ثوابه ويخوفهم عقابه ويحثهم على حسن الاستعداد للموت وما بعده ، هذه الأمور اليقينية التي خلق كل الناس من أجلها ، ولا بدّ أن يهتم بها كل مسلم يحضر الخطبة وهو مكلف بها ، وهي في حدود استطاعته .

أما ما أحدثه بعض الخطباء في هذا العصر من

التركيز في بناء الخطبة على أخبار التاريخ والجريدة والإذاعة والإشاعة، فَبُعْد عن منهاج السنة، وتعطِيْل للعبادة والدعوة، وتضييع لحقوق المسلمين، وبخاصة من لا يعقل هذه الحوادث ولا يستطيع التأثير في مجراها، ولا يتأثر بها ، وعدول عن اليقين إلى الظن، وعن الوحي إلى الفكر، وعن السنة إلى الابتداع في الدين[1] .

أساس الدين في كل رسالات الله

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً

دين الله واحد:

الدين الذي ارتضاه الله لكل عباده وأرسل به كلّ رسله واحد؛ وهو الإسلام ؛ قال الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ، لدينه أي لا تبدّلوه بأن تشركوا ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم توحيد الله.

المَحَلي في تفسير الجلالين، وغيره بنحوه.

وقال رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين: «الأنبياء أولاد علّات؛ أمّهاتهم شتى ودينهم واحدٌ» متفق عليه.

أصل الرسالات واحد:

بعث الله جميع رسله ليبلّغوا جميع رسالاته إلى جميع عباده على أساس واحد لم يختلف باختلاف الأمم والزمان والمكان والأحوال المعيشية والفكريّة والسّياسيّة:

الأمر بعبادة الله وحده ، والنهي عن إشراك أحد من خَلْق الله – كائناً من كان – معه في عبادته ، وبخاصّة

دعاء أوثان المقامات والأضرحة والمشاهد والمزارات التي زينها الشيطان لقوم نوح ثم من تبعهم من أهل أديان الحقّ والضّلال .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ .

وأورد البخاري في صحيحه عند تفسير قول الله تعالى عن قوم نوح في أوثانهم أو أصنامهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنهما : (أولئك أسماء رجال صالحين ، فلمّا ماتوا أوحى الشيطان إلى مَنْ بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصابا) ، وذكر الخبر- بنحوه – ابنُ جرير الظبري رحمه الله في تفسيره .

منهاج الدعوة واحد:

ليس لمن آمن بالله وكتابه ورسوله أن يدعوا إلى الله إلا على منهاج رسوله صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الله له وأمر باتّباعه ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾، وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ وهي السنة أو الدين أو الوحي وقال تعالى:﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾

ومنهاج الرسول صلى الله عليه وسلم (ومن سبقه من الرسل ومن تبعه من الخلفاء الراشدين المهديين وفقهاء الأمة بعدهم حتى زيِّن للبعض الفكر بديلاً عن الوحي) يبدأ ويستمرّ وينتهي بنشر توحيد الله بالعبادة ومحاربة الشرك في العبادة وما دونه من البدع .

وهذا بفضل الله ما أُسِّسَتْ عليه الدولة المباركة – المملكة العربية السعودية – بعقد لا يجوز نقضه بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله .

ومن اختار غير هذا المنهاج - منهاج رسول الله - فقد استدرك على الله ورسوله، وحكم بغير ما أنزل الله ، وشرعَ من الدين ما لم يأذن به الله .

توحيد الرّبّ المعبود

يشمل توحيد المخلوق ربه ومعبوده أمرين عظيمين هما جماع دينه وإيمانه وطاعته وتقررهما الآية العظيمة الجامعة من سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك ؛ العبادة من المخلوق لخالقه وحده لا شريك له، والإعانة ونحوها من الخالق لمن يشاء الله اصطفاءه من عباده .

الأمر الأول :

إقرار العبد – اعتقاداً وقولاً وعملاً – أن الله تعالى واحد في أسمائه (وأخصّها: الله والرحمن) ، وصفاته (وأخصّها : المحيي والمميت) وأفعاله (وأخصّها : الخلق والرزق والبعث والجزاء الأخروي) .

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾: أثبت لنفسه صفتي السّمع والبصر ونفى مماثلة مخلوقاته له سبحانه وبحمده، وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ) .

فأثبت لنفسه الحكم المطلق في الدنيا والآخره .

وهذا الأمر من أمور الإيمان والاعتقاد والتوحيد – على عظمه – لا يكفي العبد للدخول في الإسلام ولا الثبات عليه فقد قال الله تعالى عن المشركين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْض أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّت وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ﴾ ، أقرّوا اعتقاداً وقولاً ولم يقرّوا عملاً بل أقرَّ به إبليس اعتقاداً وقولاً فلم يُقَرِّبْه من رحمة الله : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ، ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

الأمر الثاني :

إقرار العبد – اعتقاداً وقولاً وعملاً – أن الله تعالى وحده هو المستحقّ للعبادة ؛ فلا يركع ولا يسجد ولا ينذر ولا يذبح إلا له ، ولا يدعو ولا يعظّم الا الله ولا يستعين ولا يستغيث ولا يحلف إلا به ، ولا يطلب المدد إلا منه ، ولا يلجأ إلا إليه ؛ هو الغني سبحانه وغيره مفتقر إليه ولو كان ملكاً مقرّباً أو نبيّاً مرسلاً أو وليّاً ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فليس لأيّ منهم من الأمر شيء بل الأمر كله لله وحده لا شريك له .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي المشركين ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وهذا الأمر ، هو الحد الفاصل بين الهدى والضّلال، وبين الإسلام والكفر، وبين عبادة الله وحده ودعاء الأولياء معه .

وهذا الأمر، هو سبب خلق الإنس والجن وسبب إرسال الرّسل وإنزال الكتب ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدو إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾.

وهذا الأمر، هو معنى : لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله، كما قال نوح ومن بعده من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لأقوامهم : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ﴾ أي : بلا إله إلا الله.

الشرك بالرّبّ المعبود

أ) **الشرك الأكبر** المخرج من الملة لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحاً كما أوحى الله تعالى لكل نبي من أنبيائه:

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وإن شاء تعالى غفر أي معصية دون الشرك؛ فلا عذر للمشرك بالشهوات والغرائز الجبلّيّة ولا بالمشقّة ولا بالحاجة ، ولا سبيل للإكراه على القَلْب محلّ الاعتقاد ومنبع الإخلاص أو الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

وهذا الشرك الشنيع والظلم العظيم من المخلوق لنفسه يشمل أمرين :

١- الشرك بالله في أسمائه أو صفاته أو أفعاله، وهو قليل الحدوث في أوائل المشركين؛ فقد قال الله تعالى عن أولئك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ فهم معترفون لله بالربوبية في الخلق وفي صفتي العزة والعلم ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ

وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾؛ فهم معترفون لله بالربوبية في الرزق والملك والإحياء والإماتة والتدبير؛ ولم ينفعهم هذا الاعتراف لله بربوبيته لخلقه ولم يدخلهم في الإسلام ولم يخرجهم من الكفر.

بل إن منهم من يعترف لله بأخصّ أسمائه :﴿ الله﴾ كما في حديث صلح الحديبية المتفق على صحته ، ومنهم من يعترف بما سماه بعض المتأخرين : (الحاكميّة) إذا وافق الحكم أهواءهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ ، فلم يُغْنِ عنهم ذلك من الله شيئاً إذ لم يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له .

٢- الشرك بالله في عبادة المخلوق له بدعاء غيره معه أو الاستعانة أو الاستغاثة بغيره معه فيما لا يقدر عليه إلا الله أو بطلب المدد من غيره، وغير ذلك مما اختص الله به نفسه سبحانه وتعالى عن الشريك والنّدّ والظّهير .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ،وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾، وقال الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي : لا نعبد إلا إياك ولا نستعين

إلا بك، وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ ﴾، ومن أكبر مظاهره مايحدث عند المقامات والأضرحة والمزارات من التعظيم والنذر أو الذبح أو الخشوع أو الدعاء أو الطواف ونحو ذلك .

وهذا الأمر من الشرك الأكبر هو الذي تلبّس به المشركون في كل عصر، وأرسل الله جميع رسله لنفيه والتّحذير منه ومحوه والتركيز على ذلك قبل وفوق جميع أحكام الشريعة .

ولم يقبل الله اعتذار المشركين بالتقرب بأوليائهم والاستشفاع بهم إليه ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ومن معه بقتالهم ، وأحبط أعمالهم الصالحة من عمارة للمسجد الحرام ، وسقاية للحاج ، وطواف وسعي واستغفار ، وإخلاص الدين لله عند الشدة ؛ بسبب تلبّسهم بهذا الشرك الأكبر باتفاق فقهاء الأمة .

ب) الشرك الأصغر ، وهو معصية كبيرة وظلم عظيم من العبد لنفسه ولكنه غير مخرج من الملة ، ومن مظاهره : الرّياء والحلف بالشرف والأمانة والذمة والحياة وبالنبي والكعبة وبأي أحد غير الله سبحانه وبحمده .

التوحيد أعظم طاعة والشّرك أكبر معصية

لن يطاع الله بأعظم من إفراده بالعبادة، ولن يعصى بشرٍّ من إشراك غيره معه في عبادته ودعائه .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

وقال تعالى عن عدد من أنبيائه عليهم صلواته وسلامه : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، وهم خيرته من خلقه .

وقال تعالى في صفة من يمكّنهم الله في الأرض بفضله ثم بصالح أعمالهم :﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ .وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ ، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ ، ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . والتزام التوحيد وتجنّب الشرك : أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده .

كما قال الله تعالى عن يوسف وآبائه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

ولأن أول وأهم ما بُعث به رسل الله في كل زمان ومكان وعلى كل حال: توكيد الأمر بصرف العبادة «والدعاء هو العبادة» لله وحده وتوكيد النهي عن صرف شيء من ذلك لغير الله (ولو كان من أعظم خلق الله من الملائكة والنبيين والصديقين والأولياء) ،فقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ثم بيده حتى اللحظات الأخيرة من حياته لاجتذاذ أصول الشرك وفروعه وسدّ أبوابه وذرائعه. وصدع بتوحيد الله في عبادته وزجر عن الإشراك بالله في عبادته قبل الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج وقبل إذن الله بالقتال ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾

لتكون ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، وقبل تحريم الخمر ووضع الرّبا وفرض الحجاب، ودون السّعي لاغتصاب المُلْك.

ومع أن سمة دعوته اللين والإحسان في الموعظة والمجادلة استجابةً لأمر ربه عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ فقد عَلِم أن من الحكمة (وهي السنة أو الشريعة أو الدين باتفاق المفسرين) التغليظ والشدّة والحسم في إنكار الشرك بالله في عبادته، وعمل بذلك حتى لقي ربه، فقال لرجل من أصحابه، «أجعلتني لله نداً» ؟ إنكاراً لقوله: (ما شاء الله وشئت) ،رواه أحمد وغيره، وأنكر على آخرين من أصحابه طلبهم شجرة مثل ذات أنواط وبيّن أن ذلك يماثل طلب قوم موسى منه: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ «متفق عليه»، وأنكر على خطيب القوم قوله: (ومن يعصهما فقد غوى) فقال: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله» رواه مسلم. ولم يغلظ فيما دون ذلك من تبول رجل في المسجد ،وإدمان رجل الخمر في الحديث المتفق عليه أوطلب الإذن في الزنى فيما رواه أحمد.

الولاء والبراء

الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والنّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين النّصيحة... لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم.

والبراء من أعداء الله و أعداء رسوله و أعداء شرعه، وهم المشركون بالله في عبادته مهما كان انتماؤهم وشعارهم قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء منكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا باللّهِ وَحْدَهُ﴾.

ومناط الولاء: الجمع بين صحّة الاعتقاد (بوحدانية الله في عبادته – خاصة – وفي ربوبيته عامة)، وبين صلاح العمل (باتباع السنة)، وفي هذا جماع الخير كله.

وقد قرن الله تعالى الإيمان والعمل الصالح ﴿ الَّذِين

آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ في أكثر من خمسين آية وفي معنى ذلك ما يصعب حصره .

ومناط البراء: الشرك في الاعتقاد (بدعاء غير الله تقرّباً بذلك إليه واستشفاعاً به إليه)، والابتداع في العمل (بعبادة الله على نحو لم يأذن به الله) ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ، وقال تعالى :﴿وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾.وقال تعالي:﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾

ويدخل في صميم الولاء الشرعي محبة السّنّة الصحيحة والدعوة إليها ومحبة أهلها الذين يردّون كل مُتنازَع فيه من الدين إلى الكتاب والسّنّة بفهم سلف الأمة في القرون الخيّره .

ويدخل في صميم البراء الشرعي بغض الابتداع

في الدين والحرص على تغيير هذا المنكر والتحذير منه ومن الدّاعين إليه والمصرّين عليه ولو انتموا إلى الإسلام وأهله **وإلى الدعوة وأهلها** .

ولا ينافي عقيدة الولاء والبراء إحسان معاملة الكفار فَمَنْ دونهم من المبتدعة بالبيعِ والإجارة والمزارعة والزيارة والهديّة وحُسْن الخلق فضلاً عن دعوتهم والدعاء لهم بالهداية كما فعل رسل الله بأمره ، وهذه هي السنّة في معاملتهم ؛ فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كل ذلك، ومنه استعارة أسلحة المشرك ، واستئجار آخر دليلاً له في الهجرة (أخطر حدث فصل بين أهل الإسلام وأهل الأوثان) ومنه محالفة مشركي خزاعة، ومزارعة يهود خيبر بعد كل ما ظهر من محاربتهم وعداوتهم له ونقضهم للعهد ، بل ودخوله في جوار المطعم بن عدي وهو مشرك .

ولا ينافي عقيدة الولاء والبراء الانتفاع بالعلوم الدنيوية للكفار ومَنْ دونهم من العصاة وصناعاتهم ومهنهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الحلّة من صُنْع نصارى الشام والبردة من صُنْع مشركي اليمن. وقال الله تعالى عنهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾، ولكن لا يجوز الاستفادة من فكرهم

ودينهم في فهم شرع الله ووحيه، وقد وقع بعض المسلمين مِنْ قَبْلُ في ضلال مبين بمحاولتهم الاستفادة من فلسفة اليونان في بيان الإيمان بالله ومن تصوّف (الهند) و (فارس) في التعبّد ، ومِنْ بَعْد بربطهم الوحي بالفكر واليقين بالظنّ

ومن الجهل والظلم الخلط بين الولاء والمعاملة والمساواة بينهما ، فقد تبين من نصوص الوحي في هذه المقالة وغيرها أن النّبي ﷺ وهو الذي إئتمنه الله تعالي على تبليغ رسالته الاخيرة والعامة إلى الثقلين الجنّ والأنس حتى تقوم الساعة خص الولاء لله ولكتابه وللمؤمنين ، وعمّ بالمعاملة الحسنة العادلة أهل كل دين احتاج التعامل معهم في مكة المباركة أو في المدينة النبوية أو غيرهما ولم يستثن المشركين عبّاد الأوثان ، ولا النصارى الذين يقولون إن الله ثالث ثلاثة ، ولا اليهود الذين يقولون ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ ويسبّونه في بيته بل نهى عائشة رضي الله عنها من لعنهم والفحش في الرد عليهم.

مقالات من مشكاة الدعوة
على منهاج النبوة

الدعوة والدعاء من شرع الله لجميع عباده

أ) زارني عربي مسلم أثناء إجازته الصيفية من دراسته في الخارج وعرفت منه أنه يجتنب زيارة أهله لأنهم – وإن انتموا إلى الإسلام – لا يدينون دين الحق ، فرأيت له زيارتهم والإحسان إليهم ، والدعاء لهم بالهداية ، ودَعْوَتَهم لما هداه الله إليه من الحق بنصوص الكتاب والسّنّة ، فأظهر يأسه من هدايتهم لأنهم من طائفة خارجة عن السّنّة والجماعة تأخذ دينها من إحدى طوائف الضلال في بلاد العجم .

وفارقني مُصرّاً على رأيه وعزمه طالباً مني عرض قضيته على الشيخ ابن باز (رحمه الله) ، فوعدته خيراً واستودعت الله دينه وامانته وخواتم عمله .

وثَبَتُّ على ما ظهر لي من نصوص الوحي وفقه أئمة القرون المفضلة في هذه النصوص ، وإن خالفها من خالفها مايلي :

١- جميع المرسلين بذلوا الدعوة والدعاء والإحسان لكل من أُرْسِلُوا إليهم – بأمر الله – مهما بلغت معاصيهم وشرُّها (القاسم المشترك بين أهل الضلال منذ قوم نوح)

عبادة غير الله بدعاء أصحاب القبور (من الأنبياء والصالحين) ، أوتعظيم أضرحتهم ومقاماتهم ومزاراتهم ومشاهدهم ،أوطلب المدد منهم أوالذبح أوالنذر لهم ، أو نحو ذلك قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وقال تعالى عن الوالدين : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ وقال تعالى عن الجميع : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾وقال تعالى عن أولي العزم من الرسل ومكذِّبيهم :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ أي العقوبة (قاله ابن كثير وغيره).

ولكن كثيراً من الدعاة المحْدَثين – بحماسهم وقلة فقههم في الدين يخالفون هداهم الله شريعة الله ؛ فيصرفون الدعوة والدعاء عن مخالفيهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » متفق عليه .

وعَلِمَ الشيخ ابن باز (رحمه الله) أن أحد دعاة إدارته ترك الخطبة يوم الجمعة خشية أن يؤمر بالدعاء لرئيس

معروف بالضلال فأمره أن يخطب وأن يدعو للرئيس – قبل أن يؤمر – لعل الله أن يردّه إلى الهدى بدعائه له .

٢- أن الدعاة إلى الله من الرسل - فمن دونهم - مسؤولون عن البلاغ لا عن نتائجه فأمرها لله وحده ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ .

٣- أنه ليس للرسول أن يدعو على قومه حتى يوحى إليه :﴿ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ ﴾

وروى أحمد والبخاري وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قَنَتَ مرّة يلعن فلاناً وفلاناً وفلاناً؛ فنزل قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، وقد تاب الله عليهم ، وفي رواية لأحمد وغيره أنها نزلت حين كُسرت رباعيّة النبي صلى الله عليه وسلم وشُجّ وجهه يوم أُحُد فقال: «كيف يُفْلِح قوم فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى ربهم عزّ وجلّ » فكيف بالدعاة بعد انقطاع الوحي ؟ ولكن الدعوة على غير منهاج النّبوّة أَنْسَت الدعاة شرع الله في الدعوة إليه ؛ فدعوا على أعدائهم ولم يدعو لهم ولم يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

٤- أن العبرة بما يظهر على جوارح العبد من قول أو عمل سواء ورث دعوى الانتماء إلى السّنّة أو البدعة أما القلوب وما تنطوي عليه من نيّة أو اعتقاد فأمرها إلى الله وحده ، ولا يجوز لعباده منازعته فيها ولا في غيرها، بدليل إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على أسامة قَتْل من قال : لا إله إلا الله من جيش المشركين في الحديث الصحيح الصريح : « فهلا شققت عن قلبه » ؟.

ب) واستجابة لطلب الأخ المذكور من جهة ، ورغبة في معرفة حقيقة الأمر من جهة أخرى زرت الشيخ ابن باز (رحمه الله) ووجدت في مكتب بيته مجموعتين من الأوراق عن الطائفة المعنية ، تضمّ ما ورد إليه من معلومات عن الطائفة ، وما رآه في أمرها :

١- يأخذ أهل المنطقة المنتمين إلى السنة على الطائفة : (الجمع الدائم بين صلاة الظهر والعصر ، والجمع بين صلاة المغرب والعشاء)، وهو في الظاهر جمع صوريّ تصحّ الصلاة به ولكنه مخالف للسّنّة التي عاش ومات عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومتّبعوا سنته في القرون المفضّلة ، والأفضل الصلاة في أول وقتها إلا لحاجة أو ضرورة .

٢- يأخذون عليهم صيام شهر رمضان كاملاً أبداً (بصرف النظر عن الرؤية) محتجين بقول الله تعالى : ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ﴾، وإنما تكمل العدة برؤية هلال شوال أو بصيام يوم الثلاثين إن تعذّرت الرؤية، عملاً بأمر النبي صلى الله عليه وسلم واتّباعاً لسنّته وسنّة خلفائه وفقه الأئمة في الدين ، وفي هذا السياق تُكْمَل العِدّة بقضاء ما لم يُصَم لمرض أو سفر (انظر تفسيرابن كثير).

٣- يأخذون عليهم الإصرار على ترك صلاة الجمعة وخطبتها بحجة شرط (المِصْر الجامع) الذي قال به غيرهم ولكنْ لم يرد به نصٌ في الكتاب ولا في السّنّة، وقد، قال الله تعالي : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ .

٤- يأخذون عليهم استقلالهم بمساجد خاصة بهم ، وفي هذا كما في ما تقدمه خروج عن جماعة المسلمين وولاة أمرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ .

٥- وأهون مما تقدّم : يأخذون عليهم التميز بعد الجهر بآمين في الصلاة الجهرية وإرسال اليدين بدل

قبضهما أثناء القيام في الصلاة ، وقد قال بمثل ذلك بعض مقلدي المذاهب من أهل السنة وغيرهم وهو خلاف ما ثبت من السّنّة .

ج) استفتى أهلُ السّنّة ممن يجمعهم بهذه الطائفة: القبيلة والمنطقة : هل يجوز لهم معاشرة أهل هذه الطائفة ومؤاكلتهم ومصاهرتهم مع ثبوت المخالفات المذكورة وإضافةً إليها : إتّهامهم بسبّ بعض الصحابة سّراً ، ونيتهم الانفراد عند صلاتهم جماعةً مع أهل السّنّة، وفساد معتقدهم الباطني الذي لا يستطيعون إظهاره ، فأجابهم الشيخ ابن باز (رحمه الله) بجواز معاشرتهم وأكل ذبيحتهم ومصاهرتهم والصلاة خلف إمامهم ما لم يظهر منهم شرك صريح مثل تأليه أو دعاء مخلوق .

د) واستأذنتُ الشيخ رحمه الله في زِيارتهم وما قد يتبع ذلك من الصلاة معهم ومؤاكلتهم فأذِنَ لي مؤكداً فتواه السابقة ؛ فاخترت لي صاحبين من خير من عرفت من الدعاة جمعاً بين العلم والعمل والخُلُق .

هـ) فور وصولنا المنطقة بدأنا بزيارة مسؤولَيْن عُرِفَ عنهما الفضل والرغبة في الخير ، وحسن معاملة الجميع ، والإحاطة بأحوال الطائفة ، وكانا عند حسن

الظن بهما ، فيسّرا لنا سُبُل الاتصال بمختلف الجهات المعنية ورافقانا في زياراتنا لزعماء الطائفة .

و) زرنا مؤسسات الدعوة المسؤولة عن إبلاغ دين الله لجميع عباده؛ لنعرف وجهة نظر الدعاة المحليين وسابق جهدهم في بيان الحق لأفراد وقادة الطائفة .

ز) وزرنا المؤسسات التعليمية التى يعمل فيها أفراد من الطائفتين صلّينا معهم وذكّرنا أنفسنا وذكّرناهم بشرع الله وآلائه وأيامه، وبيّنا أن الخلاف الديني لا يمنع من التّواصي بالحق والتّواصي بالصبر بل يدفع إليه، ولا يمنع من الموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى بل يدفع إليهما، وأن بعض الخلاف (في مثل سُنَن الهيئات) أمْرُه واسع فلا يجوز أن يكون سبباً لِلْفُرْقة والعداوة بين من ينتمون إلى الإسلام .

ح) وفق نصيحة أحد المسؤلين كان رئيس الطائفة الديني أول من زرناه منهم ثم زرنا من كان حاضراً من الرؤساء القبيليّين ولقينا من الجميع حسن الاستقبال والاحترام والإكرام ، وكان ملخّص الحديث معهم تأكيد الالتزام بدين الإسلام وأحكام الشريعة الأهمّ فالأهم: الاعتقاد ثم العبادات ثم المعاملات، والالتزام بالفرائض والواجبات، واجتناب كبائر الاثم والفواحش ، والتّذكير

بالاستزادة من نوافل العبادة والابتعاد عن المكروهات مع مراعاة شرع الله فيما يتطلبه الالتزام من حزم وسدّ للذّرائع ، وما يتطلبه التّذكير من يُسْرٍ ولين.

ط) وكنا نَكِل السّرائر للمطّلع عليها وحده سبحانه ، ونقبل تأكيد الجميع موافقتهم جماعة المسلمين في الاعتقاد القائم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وزيادة في التوكيد : لعنوا من يخالف شرع الله تعالى وسنة رسول صلى الله عليه وسلم، ولكنهم يُثْبِتُون مخالفتهم المنتمين للسنة من أهلهم بالجمع أحياناً بين الصلاتين ، والتقيد بصوم ثلاثين يوماً ، وبترك صلاة الجمعة وما دون ذلك تقليداً لمذهبهم .

ي) صلينا مع أفراد الطائفة في أحد مساجدهم صلاة المغرب ، ولاحظنا نظافة المسجد وعدم الإسراف في بنائه وتأثيثه ، وعدم وضع شيء على جدرانه من القرآن أو أسماء الله أو رسوله أو الصالحين مما ابتدعه المنتمون للسّنّة والبدعة في كثير من بلاد المسلمين ، وقد أُذِّنَ للصلاة فوق المئذنة دون مكبرّ للصوت ، وكذلك أقيمت الصلاة بصوت منخفض، ولم نسمع أي زيادة (في النداء أو في الصلاة) عن شرع الله ولا اختلاف في التوقيت، ولم

تُجْمَع العشاء مع المغرب ، وكانت الصلاة خفيفة جداً وبعد التسليم قام الجميع لصلاة النافلة بما لا يقل عن عشر ركعات (ولعل ذلك موافقة لما كان يأخذ به بعض العبّاد من أهل السّنّة من حديث ضعيف).

وعدم تبليغ الإقامة والصلاة خارج المسجد أقرب للشرع والقصد، ولكن مخالفي الطائفة يظنون أن السبب: إخفاء الاضافات المبتدعة على الأذان والإقامة .

ك) ولأننا على سَفَرٍ فقد صلى بعضنا معهم يوم الجمعة صلاة الظهر في المسجد الجامع ، ويفد إليه المصلّون من القرى والبوادي والمزارع من أول الضحى ، ويشتغل بعضهم بالتلاوة والنوافل في المسجد وبعضهم بتبادل الأحاديث خارجه حتى يؤذّن للصلاة بعد الزوال، وبعد صلاة الفريضة أربع ركعات بلا خُطْبَة وصلاة النافلة يعودون لما كانوا فيه من قبل حتى يؤذّن لصلاة العصر .

وكانوا مثل كثير من المبتدعة في بلاد العجم يسجدون سجدة واحدة بعد التسليم من كل نافلة يسميها بعضهم: (سجدة الدعاء)، وكل السجود للدعاء «فأكثروا فيه من الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم ».

ل) من كل ما سمعناه منهم وعنهم ، ومن كل ما

عرفناه أثناء وجودنا بينهم؛ يتأكد لنا أنهم طائفة خارجة عن السّنّة والجماعة ، ولكنهم :

١- أكثرهم - في هذا العصر - يجهلون أنهم على ضلال، ويحسبون أنهم على الهدى ، وقد تنحصر معرفة ما هم عليه في رؤسائهم ومن يحيط بهم .

٢- يجمعهم التعصب الطائفي والقبيلي على مذهبهم الباطني دون إحاطة بتأويلاته الضالة ولا معرفة بانحرافه عن منهاج النبوة ، ويغذيه التقليد الجاهل الذي كان من أقدم أسباب الضلال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ ولا يزال كذلك .

٣- يشارك العلماء وطلاب العلم الدعاة إلى الله من أهل السّنّة في إثم بقاء هذه الطائفة على ضلالها باجتنابهم دعوتهم والدعاء لهم بالهداية، وهذه مخالفة عامة لشريعة الله ومنهاج النبوة كما تقدم يقترفها كثير من الأئمة في دعاء القنوت والخطباء في خُطَبهم يوم الجمعة فهم يخصّون المنتمين للسّنّة بالدعاء (بالنصر لا بالهداية وهي طريقُه) ويخصّون أهل الفِرَق والمِلَل الأخرى بالدعاء عليهم بما لا يخلو من الاعتداء الذي نهى الله عنه، وكأنما يتمنّون لهم

دوام الضلال وهي أمنية إبليس لذرية آدم، أعاذ الله الجميع من شرّ الشيطان وشركه .

م) وَدَّعْنا الجميع بالدعاء لهم أن يجزيهم الله عنا بهدايته وتوفيقه وأن يدلّهم الله على صراطه المستقيم ويُثَبِّتَهم عليه ، وقدّمنا للشيخ ابن باز (رحمه الله) تقريراً تضمن :

١- كل ما شهدناه أثناء زيارتنا من قول وعمل .

٢- أن على الدعاة التنبّه إلى خطأ قَصْر الدعوة على طائفة من المنتمين إلى الإسلام أو غيره دون غيرها ؛ فالله أرسل رسوله (قدوة الدعاة) إلى الناس جميعاً ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ فجميع الثقلين منذ بُعِث حتى قيام الساعة أمّته التي أُرْسِل يدعوها إلى الإسلام فمنهم المّتبع ومنهم المبتدع .

٣- تأُلف هذه الطائفة بالمعاملة بالحسنى والتعاون على الخير والصلاة في مساجدهم (مالم يظهر منهم شرك بواح مثلهم مثل المنتمين إلى السّنّة) والتذكير فيها بالحكمة والموعظة الحسنة وبيان أحكام الاعتقاد والعبادات والمعاملات بأدلّتها من الكتاب والسّنّة بفهم فقهاء الأمة في القرون المفضلة .

هدى الله الجميع وشرح صدورهم للدين الحق .

الدُّرُوْز في مرآة بعض ولاتهم

أ) كتب الأستاذ عبد الرحمن الراشد رئيس تحرير مجلة الشرق الأوسط مرة عن لقاء بينه وبين الزعيم اللبناني الدّرزي (وليد جنبلاط) ذكر فيه الأخير أن على المملكة العربية السعودية بذل وسعها في دعوة الدّروز إلى الدين الحق، وطالب الأستاذ عبد الرحمن القائمين على الدعوة في بلاد التوحيد والسّنّة ودولة الدعوة إليهما بالاستجابة لهذه البادرة الطيبة من الزعيم الدّرزي بصرف النظر عن دوافعه المحتملة فلا يعلم حقيقة النّيّات إلا الله ، ولم نؤمر بمحاولة الكشف عنها .

وقد تلقيت خطاباً من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة لإبداء رأيي فيما تفضل به الأستاذ الراشد جزاه الله بهداه وتوفيقه .

ب) وأثناء وجودي في بيروت لمتابعة إذاعة محلية (FM) أَنْشَأْتُهَا مع بعض الإخوة اللبنانيين لبثّ دروس القرآن والأحكام الشرعية، زُرْتُ السفير السعودي في لبنان الأستاذ أحمد الكحيمي، ويتميز عن أكثر السفراء بتحرره

من قيود الروتين الإداري الذي يتقيّد به أكثر الموظفين العرب في الخارج حذراً من الوقوع في الخطأ (وفي الخطأ وقعوا) .

وأبديت للسفير الكحيمي حاجتي إلى زيارة (وليد جنبلاط)، فلم يتردد لحظة واحدة بل أجابني: (شُوْ عَلَيْه ، زُرْه وقل له : أحمد بيسلّم عليك) قيل لي: إن أمه سورية الأصل أخذ منها اللهجة والهمة الشامية جزاه الله بهداه وتوفيقه وبصلاح الخاتمة .

ج) واخترت أحد الإخوة الدعاة من أصل درزي نشأ مع أسرته في الكويت واصطفاه الله وبعض أهله للإسلام الحق والدعوة إليه، وكانت أخته مُدَرِّسَةً في مَدْرسة درزية بعالَيْه من الجبل وزرت معه الزعيم الدرزي في (قصره المختاره)، وكان استقباله لنا رسمياً بل جافاً يليق بما عُرِف عنه من قوة وصرامة.

عرّفته بنفسي وبزميلي ونقلت له قول السفير: (أحمد بيسلّم عليك) فقال : من أحمد ؟ فذكّرْتُه باسم السفير السعودي فهزّ رأسه إشارة إلى أنه انتفع بالتذكير، وفقه الله وأيّد به دينه.

ولم أذكر له شيئاً عن مقال عبد الرحمن الراشد وإنما

ذكرت له بأنّا جئنا للسلام عليه وشكره على ما منّ الله به عليه من ابتعاث عشرين من الشباب الدّرزي لحضور دورة علمية دينية أُقِيْمَتْ لهم في الأزهر مدة شهرين (فيما عَلِمْتُ) .

فقال بالحرف والكلمة (كما أتذكر): (وأنتم عليكم أن تساعدوا على إعادة الدّروز إلى حظيرة الإسلام).

د) وقد يستنكر هذا القول من زعيم الدّروز أكثر الدّروز بل قد لايصدقه أكثر المنتمين إلى الإسلام من غير الدّروز فهم ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ولم نعرف عن الصوفية ولا التبليغ ولاَ الإخوان ولاَ التحرير: الإعلان عن فساد مناهجهم إلا بعد انفصالهم عنها، وربما كان الاستثناء الوحيد (بعد ما ذكرته من قول الزعيم الدّرزي) ما نشره الشيخ د. موسى الموسوي والمجلس العالمي لتصحيح التّشيّع (زادهم الله توفيقاً وتثبيتاً ونجاحاً) عن مخالفة الشيعة لفقه آل البيت (رضي الله عنهم) في الاعتقاد والعبادة والمعاملة.

والحقيقة أن الخروج عن السّنّة والجماعة بل الانحياز والخروج والانعزال عن (حظيرة الإسلام) في لفظ وليد جنبلاط وفقه الله ، و (الانخزال عن كل الإسلام) في لفظ د. بكر أبو زيد رحمه الله في خير مؤلفاته : (حكم الانتماء

إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ٤٦) .

هذا الخروج عن منهاج النبوة والصحبة والاتّباع في الدين وفي الدعوة إليه ، ليس من العدل في شيء أن يُخَصّ به الدّروز أو الشيعة أو الإسماعيلية أو القاديانية فإن كثيراً من المنتمين إلى الإسلام والسّنّة (فضلاً عمّا دونهما) غارقون فيه بتقديس مشايخهم ومناهجهم ومقاماتهم ومزاراتهم وما هو دون ذلك من ابتداعهم في الدّين، ولكن الله ميّز موسى الموسوي ووليد جنبلاط من بين قادة الفرق والطّوائف والأحزاب والجماعات الدينية المبتدعة بالشجاعة لإعلان ما تبَّيناه في طوائفهم من انحراف وما يطلبانه من إصلاح .

هـ) ورحّب الزعيم الدّرزي بطلبنا زيارة بعض المدارس التّابعة له في (الجبل) وتمّت أكثر من زيارة ، وفي المرة الأولى شكا بعض القائمين على المدرسة مما نَقَلَتْ إحدى المنشورات الإعلامية العربية عن الشيخ ابن باز تكفير الدّروز ، فأجَبْتُه بأن خبر الجريدة والمجلة والإذاعة والإشاعة يحتاج إلى شاهدي عدل قبل الحكم عليه بالصدق، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتّثبّت عند تلقي الخبر قبل قبوله أو الحكم به: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ، ولا أفسق

من وسائل الإعلام العربية القائمة على الإثارة والمبالغة والغيبة والنميمة وشغل فراغ الأوراق والأوقات بما لا يفيد غالباً.

وقد يكون مستفتيه سأله عن حكم الدّرزي الذي يدعوا (أبا إبراهيم) أو غيره من (الحدود الخمسة) فأجاب بأن دعاء غير الله شرك أكبر وكفر مبين مستدلاً بقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: « الدعاء هو العبادة » .

ويقول مثل هذا عن الشيعيّ الذي يدعو عليّ بن الحسين رضي الله عنه وعن السّنّي الذي يدعوا البدويّ مثلاً وأيّ ميّت أو غائب مطلقاً ، أو حاضراً فيما لا يقدر عليه إلا الله .

و) ثم إنه استفاض عن الزعيم الدّرزي السابق كمال جنبلاط والد الزعيم الحالي إنكاره أن يكون الدّروز على دين الإسلام ، وأكثر دعاة السّنّة الصحيحة يقرّرون أن كثيراً من المنتمين إلى الإسلام والسّنّة أو البدعة : قد اجتالهم الفكر والهوى والتقليد عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وشذّ

بعض الحزبيّين فحكم على جميع المسلمين بمختلف فِرَقهم وطوائفهم بأنهم ارتدّوا عن دين الإسلام بعد أن كانوا عليه بمن فيهم الذين يردّدون على المآذن : لا إله إلا الله محمد رسول الله إذا حكموا البشر في مناهج حياتهم ، ولو وحدّوا الله وأدّوا له وحده شعائر العبادة، وهذا الشذوذ ناتج عن جهله بشرع الله وبأحكام الرّدة والقول على الله بغير علم، ولم يوافقه أحد من علماء أهل السّنّة والجماعة ، وإن كانت دولة الشيعة في إيران قد كافأته بوضع اسمه وصورته على طابع بريد ، وسَمّتْ باسمه سبعة طرق على الأقل في طول البلاد وعرضها .

ومناط الحكم بالإسلام أو الكفر إنما هو التوحيد بمعنى إفراد الله وحده بالعبادة ونفيها عمن سواه (ولو كان مَلَكاً مُقَرّباً أونبيّاً مُرْسلاً أو وليّاً شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة). (أنظر الظلال والمعالم والعدالة).

ز) وقد اتّفقتُ مع أحد علماء الأمة وولاة أمرها على دعوة عشرين (أو أقلّ أو أكثر) من طلاب أو معلمي المدارس الدّرزية (التابعة لوليد جنبلاط) لأداء العمرة والاشتراك في دورة علمية شرعية في مكة المباركة أو المدينة النّبويّة تحتوي أولاً على أحكام الاعتقاد (الإيمان أو التوحيد) ثمّ على

وقُمْتُ بزيارة مدرسة درزيّة في (الشّوْف) بصحبة الشيخ عبد الرحمن مكارم (السّلفي حالياً الدّرزي سابقاً) وقابلنا بعض القائمين على المدرسة وذكّرناهم بسابق تعاونهم مع الأزهر في مصر ، وما يطمح إليه قائدهم وليد جنبلاط (وهو ما نطمح إليه) من تعاونهم مع بلاد الحرمين وتجديد الدين في القرون الثلاثة الأخيرة ، وطلبنا منهم اختيار عدد من الطلاب أو من المعلمين في المدارس الدّرزية لزيارة الأرض المباركة المقدسة وأداء العمرة والاشتراك في دورة علمية شرعية في مكة المباركة.

ومع أنه لم يظهر لي منهم حماس لتنفيذ هذا الطلب مما جعلني أظنّ أن أساس الفكرة لم يتجاوز عظيم الدّروز وليد جنبلاط كثيراً إلا أنهم وعدوا بدراسة هذا الأمر وتعريفنا بما يصلون إليه من قرار عند زيارتنا القادمة للمدرسة .

وطَرَأَتْ على لبنان أحداث جديدة من الفتن والحروب عاقَتْهم وعاقَتْنا عن تحقيق اقتراح وليد جنبلاط (جزاه الله بهديه) حتى كتابة هذه الأسطر .

ح) ولأني نقلت رأي زعيمين من زعماء الدّروز في دين رعيتهم الدّرزية ؛ فقد علمت أن شيخ العقل السابق (بهجت غيث) مخالِف لهما أو (على الأقلّ لوليد جنبلاط)

إلا أن مجلة الضحى الدّرزية نقلَتْ ما يخالف رأي كمال جنبلاط وقد يوافق رأي ابنه وليد جنبلاط رغم ما يظهر من اختلاف أو تنافس ، ونقلت المجلة الدّرزية قول بهجت غيث : (دستورنا كتاب الله وسنّة نبيّه ، نُحِلّ ما أحلّا ونُحَرّم ما حرّما) ، والدّروز عامةً يسمّون أنفسهم: (الموحّدون)، ونرجوا الله أن يحيينا وإياهم ويميتنا موحّدين على افراد الله بالعباده .

ولا شك أن «كل مولودٍ يولد على الفطرة» وإنما يجتال الناس عنها : الفكر والهوى والتقليد والاستحسان والغلوّ ، وكلٌ يحسب أنه على الحق طريق الهدى وطريق الجنة (لا يُستثنى من ذلك إلا القليل) : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ والمعيار الذي يوزن به قول كل فرد وعمله : نصوص الوحي بفهم أئمة الهدى من القرون المفضلة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكثير من المنتمين إلى الإسلام من كل فرقة وطائفة وحزب وجماعة مخالفين للنصّ أو الفهم أو العمل ردّنا الله وإياهم إلى دينه ردّاً جميلا .

وسأواصل استثمار بادرة (وليد جنبلاط) الطّيبة ما وسعني ذلك، جعلنا الله هداة مهتدين ، دعاة إليه على منهاج النبوة

(تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ)

لست – بفضل الله – ممن تهديه العاطفة إلى تقديم المهمّ على الأهمّ والظّنّ على اليقين والفكر الموصوف – زوراً – بالإسلامي على الفقه في الدين من أهله ، كما يفعل كثير من دعاة الحزبية والحركية والتصوف ومن انخدع بزخرف قولهم وعملهم .

ولقد تفضل الله عليّ بالتركيز على ما يهمله هؤلاء جميعاً : ما أرسل الله به كل رسله وأنزل به كل كتبه (من إفراد الله بعبادته ونفيها عمّا سواه ، والتزام السّنّة والدعوة إليها واجتناب المبتدعات في الدين والتحذير منها، والثّبات على منهاج النّبوّة والنّهى عن مناهج غيره من البشر) .

أ) وقد وجَدْتُ أن المسلمين المنتمين إلى أهل السّنّة أولى من غيرهم بالدعوة إلى الدين الحق :

١- لأنهم رأس المال (في لفظ الشيخ د . بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله في كتابه الفريد : (حكم الإنتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية)، وغيرهم من الفرق والطوائف والأديان المبتدعه يُدْعَوْن من

باب الرّبح ، ورأس المال مقدّم على الرّبح ، إذا بقي رأس المال فلعلّ الله أن يحقق الربح .

ومن الحمق والضلال الاهتمام بتنمية الرّبح وإهمال رأس المال .

٢- لم تَرُقْني ولم تخدعني ادّعاءات كثير من الدعاة على غير منهاج النّبوّة : إسلام (ثلاثة آلاف) أو أقل أو أكثر على أيديهم ، بل أدّعت أقرب الجمعيات إلى السّنّة في الرياض أنه أسلم بسبب نشاطها خمسمائة ألف أفريقي في يوم واحد ؛ فبالإضافة إلى ما يظهر من هذه الادّعاءات من تزكية للنفس والله تعالى يقول :﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾، واحتمال استعمالها لاجتذاب التبرعات ، فإن الهداية بيد الله وحده لا يجوز لعبد أن يدّعيها لنفسه أو لغيره والكثرة ليست دليلاً مطلقاً على الخير ، وقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾،« ويأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد » رغم صلاح نيّته ونهجه وخلقه وعمله ، وقال الله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾،﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ، وقد يؤيّد الله الدين بالرجل الفاجر كما حدث في أمريكا فدخل نحو مائتي ألف أمريكي تحت اسم

الإسلام بدعوة رجل يَدَّعي أو يُدّعى له النّبوّة ويُرْمي بالعظائم ومنها ترك الصلاة.

٣- كثير من المسلمين المنتمين إلى أهل السّنّة يقترفون أسوأ ما يقترفه أهل الضلال: عبادة ودعاء وتعظيم وتقديس من سُمّيت بأسمائهم الأضرحة والمقامات والمزارات والمشاهد في كثير من بلاد المسلمين عرباً وعجماً، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتّبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أنهم دخلوا جحر ضب لدخلتموه » متفق عليه .

٤- جرّت محاولاتُ دعاة الفكر دعوةَ النصارى كثيراً من السُّوء على الإسلام والمسلمين، فأقام بعضهم دعوته على مهاجمة النصرانية والإنجيل أكثر مما أقامها على بيان أحكام الإسلام والقرآن، وخالف شرع الله في دعوته فجادلهم بالأسوأ والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وجادلهم بسبّ الإنجيل والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ﴾ وتحقق ما حذر الله منه (مقدّمةً ونتيجةً) فسبّوا القرآن وافتتن بذلك النصارى والمسلمون وبعض المسلمين.

وهبّ جهلة المسلمين للدفاع عن النبي صلى الله

عليه وسلم فِرْية الكاريكاتير الدّنمركي بمثل دفاع الدُّبّ عن صاحبه بِرَضخ رأسه (رداً على هجوم الذّباب) فنشروا الفِرْية في كل مكان وبكل لغة وكانت مغمورة في بقعة واحد وبلغة واحدة لا يعرفها إلا أهلها، وقاطعوا جميع الدنمركيين بخطأ أحدهم خلافاً للعدل والشرع والعقل، وكانت النتيجة زيادة المفترين والحاقدين .

ب) ولكني ساهمت في دعوة النصارى قليلا عندما يسّر الله لي ذلك وَفْق وحي الله وسنة رسوله

١- أحضر لي زميلي في الدعوة إلى الله على منهاج النّبوّة أكثر من ربع قرن الشيخ (يونس بن مفلح الدّبويي) نسخة من الإنجيل ومعها بعض المعلومات يعرضها (مركز المحبة لدراسة الكتاب المقدس) في عمّان الأردن فكتبت إلى القائمين على المركز بضع مرات (١٤١٨-١٤٢٠هـ) فيما يلي:

٢- إلى: (مركز المحبة لدراسة الكتاب المقدس) وفقهم الله وهداهم لدينه الحق،أما بعد:

فإن ممّا أوحى الله به لرسله من الإيمان أن يحب العبْدُ للناس ما يحبّ لنفسه ، واستجابةً لأمر الله ثم استجابةً لطلبكم الكتابة إليكم بما يَعِنّ لقارئ نشراتكم ، إليكم بعض

التساؤلات النابعة من إيماني بالله وحده لا شريك له وبجميع كتبه ورسله، ومن كتبه: التوراة والإنجيل والقرآن ومن رسله : موسى وعيسى ومحمد صلى الله وسلم وبارك عليهم أجمعين ، ورزقنا اتّباعهم في اهم ما بعثوا به: التوحيد .

ج) وهذه هي الأسئلة التقريرية جمعتها من بضع رسائل بعثتها للمركز :

١- ألا يقرّ اليهود والنصارى (نظرياً) بأن الله هو الواحد الأحد؟ بلى؛ فكيف يصحّ (المبدأ الثاني) في الملحق المضاف إلى هذه الطبعة للإنجيل الذي يؤكد أن الإنسان خُلِق لتكون له شركة مع الله ؟

٢- ألا يؤمن النصارى بكتب الله ورسله قبل المسيح ؟ بلى؛ فكيف يصحّ (المبدأ الثالث) الذي يؤكد أن المسيح عليه السلام هو علاج الله الوحيد لخطيئة الإنسان ؟ أليس كل رسول أرسله الله يحمل العلاج لخطيئة الإنسان في عبادته ، وأعظم خطايا الإنسان : إشراك أحد من الخلق مع الله في عبادته، والعلاج الوحيد الذي أرسل الله به كل رسله : الهداية إلى صراط الله المستقيم ؟ هل من الشرع أو العقل ترك أكثر المنتمين لليهودية والنصرانية والإسلام

يتحولون إلى وثنية المقامات والمزارات والقبور بحجة تحمّل الرسول أو القدّيس أو الولي خطيئة أتباعه لتَقَرُّبِهم به أو لطلبهم شفاعته لهم ؟

٣- أليس للنصارى المؤمنين بالله وكتبه ورسله فضل على اليهود الذين لا يؤمنون ولا ينتمون إلى نبي بعد موسى عليه السلام وما آتاه الله من التوراة ؟ أليس للمسلمين المؤمنين بالله وكتبه ورسله فضل على النصارى الذين لا يؤمنون بنبي ولا كتاب بعد عيسى وما آتاه الله من الإنجيل ؟

٤- أليست الوصية الأولى (بين الوصايا العشر التي وجَدْتها بين ما وصلني من منشوراتكم) تنصّ على ألا يعبد إله غير الله ؟ فكيف يتفق مع هذه الوصية الشرعية (التي أرسل الله كل رسله لتقريرها) مع اتخاذ (الابن) و (روح القدس) مع (الأب) تعالى الله إلهاً معه؟.

٥- أليست الوصية الثانية (في منشوراتكم) تنصّ على ألا يُصْنع تمثال مما في السماء والأرض والبحر فيُسْجد له ؟ فكيف يتّفق مع هذه الوصية الشرعية (التي أرسل الله كل رسله للتحذير منها والقضاء عليها) مع صُنْع تمثالٌ لعيسى أو لأمّه مريم عليهما الصلاة والسلام في الكنائس (والبيوت أحيانا)؟ وكيف يتّفق مع هذه الوصية الشرعية

رَسْمَ صُوَر (القديسين) بالزّجاج الملوّن على نوافذ وأبواب الكنائس وسقوف الكاثدرائيات ؟ وكيف يتّفق مع هذه الوصية الشرعية مِثْلُ تمثال (القديس بطرس) في ساحة الفاتيكان (الذي ذهب جزء من قدمه من كثرة مَنْ يُقَبِّلها من النصارى) ؟

لقد ضلّ بسبب ذلك كثير من المنتمين للإسلام تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أنهم دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه » قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟ متفق عليه فبنوا المساجد على القبور ودعوها من دون الله، بل اتّبعوا اليهود والنصارى في التّعبّد بما لم يشرعه الله دون ذلك ومنه : إيقاد الشموع أو المصابيح على هذه الأوثان ، والتسبيح بمسبحة الخرز وأوّل من ابتدعها الهندوس ، وهزّ الجسم أو الرأس عند الذكر اتّباعا لليهود وقبلهم الهندوس ثم البوذيون، ولا أشنع من وثنية اتخاذ المخلوقين أو صُوَرهم أو أنصابهم آلهة تُدْعَى وتعظّم وتُعْبد في بيوت عبادته.

٦- ألا ترون أن كلمة (ابن الله) صفة لعيسى عليه السلام فيما بين يديكم من ترجمةٍ للإنجيل (والترجمة عُرْضة

للخطأ كائنا من كان المترْجِم)، ألا ترون أنها تعنى ما تعنيه كلمة (أبناء الله) في الترجمة العربية للإنجيل بين أيديكم : (فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أبناء الله) بمعنى أنهم عالة على الله كما ورد في أكثر من حديث منسوب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لو صحّ منها شيء: «الخلق عيال الله » وكل ما خلق الله فهو مفتقر إليه، قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

د) جاءني ردّ المركز بعد شهر بأنه يمكن أخذ جواب كل هذه الأسئلة من الكتب والنشرات التي يصدرها المركز، فكتبت إلى من جاءني الردّ باسمه (جمال يعقوب):

١ - لم أستطع أخذ جواب أي سؤال واحد من الكتب والنشرات التي قدّمها المركز وإلا لما سألت ، والسّبب أن فهمي يختلف عن فهم المركز لرسالة المسيح التي لا تختلف

عن رسالة محمد ولا مَنْ سبقهما من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾

﴿ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾، ﴿ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) .

٢- والله وحده الخالق المستحق للعبادة ، وغيره المخلوق المفتقر إلى فضله ورحمته ، وخلق الله آدم من تراب (لا أمّ ولا أب) ، وخلق ذريته من الأب والأم إلا عيسى عليه السلام من أمّ بلا أب ، خلقهم جميعاً لعبادته وحده : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، وخلق الله الملائكة وخلق الحيوان والنباتات والجماد، وخلق الله السّموات والأرض وما فيهنّ مسخّرات بأمره ، ثم يُفني ما يشاء بأمره حين يشاء ويبقى الله وحده

٣- وأكرم الله عيسى عليه السلام فلم يأذن بقَتْله ولا صَلْبه ، بل رَفَعَه الله إليه ، وسيُكْرمه قبل يوم القيامة بإنزاله إلى الأرض ، فيجدّد دين الله الحق (الذي أرسل به جميع رسله وأنزل به كل كتبه) بإعادته إلى ما كان عليه قبل ابتداع أكثر المنتمين إلى دين الله ما لم يشرعه الله .

٤- ومن أهمّ أسباب تحريف دين الله وتغييره وتبديله :

الغلوّ في محبة الصالحين إلى درجة جعلهم أبناءً لله أو أنداداً له ، عَبَدَ قوم نوح أنصاب صالحيهم ، وعَبَدَ الهندوس (براهما ، وفشنو ، وشيفا) وعَبَدَ البوذيون بوذا (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ)، ورفع بعض المنتمين إلى الإسلام من الشيعة أئمتهم إلى درجة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل رفع بعضهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى درجة الألوهية ودعا أكثرهم الحسين وعلي بن الحسين رضي الله عنهما من دون الله ، ورفع بعض المنتمين إلى الإسلام والسّنّة من الصوفية مشايخهم إلى درجات تتجاوز حدود الشرع والعقل ، وجعلوا للنبي صلى الله عليه وسلم تسعة وتسعين اسماً مضاهاة لله، وأضافوا إليه كثيراً مما اختص الله به نفسه، بل لمشايخهم كذلك.

والإخلاص لله وحده في العبادة والالتزام بإتّباع سنة رسوله أعظم دلائل المحبة .

هـ) وبعد عام ونصف وصلتني من المركز تهنئة بعيد الأضحى فكتبت لهم :

١- بعد شكري للمركز على تهنئته بيّنت لهم أني لم

أعْتَدْ على السّبق التّهاني (ولا التّعازي) كتابةً ولا زيارةً في البيوت ، ولا الاحتفاء بأيّ عيد غير ما شرعه الله : (عيد الفطر وعيد الأضحى) دون تكلّف ما لم يكن عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم .

أمّا ما ابتدعه الناس من أعياد أو احتفالات باسم الميلاد أو رأس السنة أو ذكرى الإسراء والمعراج والهجرة فأتقرّب إلى الله بترك التّعبّد له به .

٢- اليقين : في الوحي وحده ، ويُلْحق به الفقه فيه من أهله ،والهوى والظنّ : في الفكر البشري ، وما اختلف الناس مِنْ قَبْلُ ولا مِنْ بَعْدُ إلا من بعد ما جاءهم العلم اليقيني من مصدره الواحد الأحد خالق الخلق وإلههم، فخلطوه بالفكر ومصادره كثيرة لا يحصيها إلا الله ، وتفرّق الناس فِرَقاً عديدة بتعدّد المصادر غير المعصومة من الخطأ .

٣- والنفس الأمّارة بالسّوء (أقرب شيء لصاحبها) والشيطان (الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم) هما أشدّ الدعاة إلى الباطل تأثيراً لملازمتهما ابن آدم من المهد إلى اللحد ، وقد أوقعا البشرية منذ قوم نوح عليه السلام في أكبر الخطايا والموبقات : شرك دعاء الميت وتعظيمه واللجوء

إليه في الشدائد بدلاً من الحيّ الذي لا يموت مُدَبِّر كل أمر وهو على كل شيء قدير ، بحجة التقرّب إلى الله به وطلب الشفاعة منه، والله أقرب إلى عبده من حبل وَرِيْده وبيده أمر الشفاعة وحده لا يملكها مخلوق إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

وقد يغفر الله لمن يشاء كل خطيئة (دون أن يحمّلها عيسى عليه السلام أو غيره) ولكنه لا يغفر له أن يُشْرك به ولا يحمّل خطيئة عبده غيره : (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) .

وبعد بيان ما تيسّر في هذا الأمر لم يبق إلا أن أدعوا الله تعالى لنفسي ولأهل هذا المكتب وللجميع بالهداية للحق المبين صراط الله المستقيم والثبات عليه وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالّين ولا مُضِلّين .

مناظرة أهل الكتاب

الدعوة إلى الله عبادة ، والعبادة لها طريق مستقيم واحد لا يجوز تغييره ولا تبديله ولا العدول عنه مهما تغير الزمان والمكان والأحوال : وحي الله في كتابه ، وسنة رسوله، وسبيل المؤمنين في القرون الخيّرة ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ النساء : ١١٥

وإن عدل عنه كثير من الأفراد والجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلامية والمنتسبة إلى الدعوة : ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ المائدة: ١٠٠

واقتداء بمنهاج النبوة والرسالة يجب أن يتجه اهتمام الداعي إلى الله لإصلاح المنتسبين إلى الإسلام أولا – فهم رأس المال كما يقول الشيخ بكر أبو زيد – قبل أهل الكتاب والمشركين قال الله تعالى لنبيه :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٤

وكثير من المنتسبين إلى الإسلام بعد القرون الخيّرة خالفوا آخر وأهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم فيما

رواه أحمد عن أبي عبيدة رضي الله عنه : كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم((... واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) وما رواه مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك))، وما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاه قال : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ، قالت : يحذّر مثل الذي صنعوا .

ونافس كثير من المنتسبين للإسلام والسنة – اليوم ومنذ قرون – اليهود على القبور المنسوبة لأنبيائهم ، ونافسوا النصارى على المقامات المنسوبة للخضر ، ونافسوا فرق الضلال على مزارات ومشاهد شعيب والحسين وزينب ، وأسماء – يصعب حصرها – ما أنزل الله بها من سلطان، وما هي إلا أساس أوثان وأنصاب وأصنام المشركين من عهد نوح فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أولئك «أوثان قوم نوح» أسماء رجال صالحين ، لما ماتوا

أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً) ، وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته عن أضرحة وصور القديسين في كنائسهم : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ».

واليوم برز لمناظرة أهل الكتاب ومجادلتهم من لم يعرف منهاج النبوة في الدين والدعوة ولا ظهر منه إنكار للشرك وما دونه من البدع التي يتقرب بها إلى الله كثير من المنتسبين إلى الإسلام ، وانصرف إلى دراسة التوراة والإنجيل للرد على أهلهما أكثر مما أنصرف لتدبر كتاب الله والعمل به وتبليغه للجميع .

وهذا النهج انحراف عن منهاج الشريعة وسنن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدعوة إلى الله على بصيرة كما أمر الله: البدء بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة أولاً وقبل كل شيء – حتى يوحدوا الله – ثم إلى تحكيم المسلم شريعة الله في العبادات ثم المعاملات ، وبيان ما أحل الله وما حرّم ، وتحبيب الخالق إلى خلقه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ البينة : ٥

﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل : ١٢٥، والحكمة هي السنة : (وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) النساء : ١١٣ ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ الأحزاب : ٣٤

وقد خصّ الله أهل الكتاب بنهي المسلمين عن مجادلتهم أو مناظرتهم إلا بالتي هي أحسن – مع دخولهم في عموم الآية الأخرى – : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت : ٤٦.

وليس من الإحسان سبّ كتبهم واتهامها بفساد اللغة والتناقض في القصص وأنها من عند غير الله كما يفعل بعض مجادليهم اليوم ؛ فقد نهى الله عن سبّ آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام : ١٠٨، وصدق الله : لقد دفع سبُّ المسلم التوراة والإنجيل إلى سبّ النصارى القرآن واتهامه بالمثل: بمخالفة قواعد اللغة العربية والتناقض في القصص ودعوى الإتيان بمثله في بعض المناظرات المتأخرة.

والالتزام بشرع الله في الدعوة ببيان فضل الإسلام وتصديقه لما قبله من الرسالات خير من سبّ الأديان ، وقد تبين لمكاتب دعوة الجاليات صحة ذلك عملياً ، والله أعلم وأحكم بصرف النظر على النتائج والتجارب .

كيف نتلوا القرآن حق تلاوته ؟

في خَيْر إذاعة للقرآن في خير دولة عرفها تاريخ المسلمين في القرون الثلاثة الأخيرة (بل القرون العشرة الأخيرة) برنامج بعنوان: (تعليم التّلاوة) يفتتح بقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ ظنّاً من القائم عليه:

أَنَ الالتزام بما سُمِّي (أحكام التّجويد) تحقيق لشرع الله في هذه الآية الكريمة، وانما نتج هذا الظن من الجهل بأقوال المفسّرين القدوة في القرون الخيّرة.

أما المفسّرون القدوة من الصحابة والتابعين فمنهم من قال بأن المقصود بهم : مَنْ آمَنَ مِنَ اليهود والنّصارى (قتادة ، واختاره ابن جرير رحمهما الله) ومنهم من قال بأن المقصود بهم : مَنْ إذا مرّ بذكر الجنة سأل الله الجنة وإذا مرّ بذكر النار تعوّذ بالله من النار (عمر رضي الله عنه)، ومنهم من قال بأن المقصود بهم: مَنْ يُحِلّ حلاله ويُحَرِّم حرامه ولا يُحَرِّف الكَلِم عن مواضعه (ابن عباس وابن مسعود رضي

الله عنهم) ، ومنهم من قال : يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه (الحسن البصري رحمه الله)، وليس منهم من قال بأنهم المتفيهقون بالتجويد ، وإنّما أُتُوا من قِبَل تصديقهم – دون تثبّت – قول النّاظم :(والأخذ بالتّجويد حتم لازم) . وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله (وهو من نوادر من اهتم بمعرفة التجويد من علمائنا الأوائل) عن دعوى مُدَرِّس للتّجويد : أن التّجويد العملي واجب على كل مسلم ومسلمة مستدلاً بقول الله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، فأجاب بتاريخ ١٣ / ١١ / ١٤١٥هـ بقوله : (لا أعلم دليلاً شرعياً يدلّ على وجوب الالتزام بأحكام التجويد، أمّا قول الله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ فهو يدلّ على شرعية التّمهّل بالقراءة وعدم العجلة)، ويؤيّده قول الله تعالى في الآيه الاخرى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ .

وسئل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عن رأيه في تعلم التّجويد والالتزام به فأجاب بقوله في كتاب العلم ص ١٧١ :

(لا أرى وجوب الالتزام بأحكام التّجويد التي فُصِّلت بكتب التّجويد ، وإنما أرى أنها من باب تحسين القراءة ، وباب التّحسين غير باب الإلزام ... وليُعْلَم أن

القول بالوجوب يحتاج إلى دليل تَبْرَأُ به الذّمّة أمام الله عزّ وجلّ في إلزام عباده بما لا دليل على إلزامهم به من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو إجماع المسلمين ، وقد ذكر شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في جواب له : أن التّجويد حسب القواعد المفصّلة في كتب التّجويد غير واجب . وقد اطّلعت على كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول حكم التّجويد قال فيه ص ٥٠ جـ ١٦ من مجموع ابن قاسم رحمه الله للفتاوى : (ولا يجعل همته فيما حُجب به أكثر الناس -من العلوم- عن حقائق القرآن إمّا بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنّطق بالمد الطّويل والقصير والمتوسّط ، أو غير ذلك ؛ فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرّبّ من كلامه) .

قلت: وقد كرّر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذه الفتيا عدّة مرّات في (نور على الدّرب - إذاعة القرآن الكريم من الرياض)، فهو لا يرى وجوب الالتزام بغير الرسم العثماني والإعراب المألوف وكلاهما لازم لتدبّر كلام الله تعالى .

ولا أرى أن التّحسن يتحقق بالقراءة بالإشمام في ﴿تأمنّا﴾ والإمالة في ﴿مجراها﴾ والسّكتة اللطيفة في

﴿مَنْ راق﴾ ونحوها، ولا في القلقلة الكبرى، ولا في التّفريق بين المدّ المتصل والمنفصل (وجوباً أو جوازاً)، بل كل ذلك ونحوه – كما قال ابن تيمية رحمه الله : (حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرّبّ من كلامه) ، بل هو – في رأيي – تَعْسير لما يَسّره الله من كلماته لذكره .

وقال بمثل قول ابن تيمية سَلَفُه ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) وخَلَفُه ابن القيم في (إغاثة اللهفان) رحمهم الله جميعا. ونُقل عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كراهته لادغام حرف أنزله الله ووعد عليه عشر حسنات، والسّكتات عند حمزة رحمه الله، وعن غيره كراهة الترقيق .

وقال بعض طلبة العلم المتأخرين من المأخوذين باصطلاح الوسطيّة الجديد : بأن الالتزام بأحكام التجويد المحدثة غير واجب بل هو نافلة ، ولم يَأتُوا بدليل شرعي واحد على مشروعية هذه الأحكام جملة ولا تفصيلا، ولا يجوز أن يُحْكم بالوجوب ولا بالنّفل ولا بالجواز ولا بالإباحة في شيء مما يُتَعبّد لله به بغير دليل صريح صحيح، قال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ ؟ .

وقد يُقْبل من أحكام التجويد المحدثة ما يؤيّده شرع

الله في عمومه مثل: الإظهار لأن حرفاً أصلياً أنزله الله تعالى في كتابه لا بدّ من التلفّظ به بقدر استطاعة المسلم وموافقته للغة قومه العربية الفصيحة ، وقد تُقْبل القلقلة الصّغرى لإظهار الحرف السّاكن الذي لا يَظْهر إلا بها بشرط ألا يُبْدل السكون بحركة أخرى مثل الكسرة كما يفعل كثير من القُرّاء عند لفظ (قَدْ) و (أبْواب) و (إبْراهيم) فهذا تنطّع منكر قد يصل إلى التّحريف والتّبديل عياذاً بالله .

وإن من مكايد الشيطان ومصايده صَدُّ المسلم عن تدبّر آيات القرآن الكريم (وهو فرض من فرائض الله) بما دون ذلك من نافلة الحفظ فضلاً عن تكلف معلّم هذا البرنامج (وما يماثله من البرامج في هذه الإذاعة وما دونها من الإذاعات) وتشدّقه وتفيهقه وتنطعه بالمصطلحات المحدثة مثل: الاستعلاء والاستفال والانطباق والانفتاح والرّوم والإشمام ونحوها.

وإذا جاز تكلّفُ القلقلة لإظهار حرفٍ أنزله الله تعالى بلسان العرب فكيف يجوز تكلف إخفاء حرف أنزله الله بلسان العرب قوم رسوله ؟ لا عجب ، فالتّكلف والتّقليد - بلا دليل - يُبْعدان العبد عن الشرع والعقل فيُلزم نفسه وغيره بعبادة الله بما لم يشرعه تقرّباً إليه بالغلوّ والابتداع

والإسراف والانشغال بذلك عن هدي الله تعالى وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾، وورد في الأثر أن من علامات الانحراف عن منهاج السّنّة: (كثرة القرّاء وقلّة الفقهاء) ؛ ونرى اليوم كثرة الحرص على تحفيظ القرآن وتجويده وندرة العمل على تدبّره، وحتى يؤكد الشّيطان صرف طلاب العلم عن التّدبّر إلى الحفظ والتّجويد سوّل لبعض الدّعاة إلى الله صرف اهتمامهم إلى سرعة الحفظ (بين سبعة وعشرين يوماً وستين يوماً) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى أصحابه رضي الله عنهم عن قراءة القرآن في أقل من سبع (عند البخاري) وثلاث (عند غيره) خشية من عدم تدبرّه حقّ تدبّره فكيف بالتّنافس على سرعة حفظه ؟ وحذّر النبي صلى الله عليه وسلم من شباب يحقر النّاس قراءتهم عند قراءتهم ولكن «قراءتهم للقرآن لا تتجاوز تراقيهم» لأنهم لا يفقهون ما يقرؤون وبالتالي لا يعملون به بل بأهوائهم فيميلون عن السّنّة ويخرجون على الجماعة والإمامة .

وذكر ابن تيمية رحمه الله من أصناف من يسيء سماع القرآن [ومثلهم من يسيء تلاوته] قوم يسمعونه

ولا يفقهونه [وأنّي لهم العمل به بَلْه تبليغه] مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء﴾، (مجموع ابن قاسم الفتاوي جـ١٦ ص ٨-١٢) .

وتلاوة القرآن حقّ تلاوته لايمكن أن تتحقّق إلا بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تميّزت تلاوته كتاب الله الذي أنزله الله على قلبه بأربع ليست أكبر همّ كثير من المجوّدين ولا تبرز بين قواعد التجوّيد المحدثة :

١) كانت قراءته مدّاً؛ يمدّ ﴿بسم الله﴾ ويمدّ ﴿الرحمن﴾ ومدّ ﴿الرحيم﴾.

٢) وكان يترسّل في قراءته فلو شئت لعددت حروفها حرفاً حرفاً .

٣) وكان يقف على رءوس الآي كما شرع الله لعباده ولو تعَلَّقَت الآية بالآية بعدها، ولم يُعْرف عنه أنه جمع بين آيتين أو أكثر، ولا استعجل الختمة، ولا وقتها بليلة ٢٧ مثلاً ولا استعجل التلاوة والحفظ.

٤) وكان إذا مرّ بآية رحمة سأل الله الرحمة وإذا مرّ بآية عذاب استعاذ بالله من العذاب وإذا مرّ بآية تسبيح وحَمْد سبّح الله وحمده .

٥) وكان إذا قرأ آية : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال : « سبحان ربّيّ الأعلى » وإذا قرأ آية : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ ؟ قال « سبحانك فبلى » ونحو ذلك لا في صَلاة اللَيل وحدها بل مطلقا.

انظر صفة صلاة النبي ﷺ للمحدث ناصر الدين الالباني، ولا يجهل مسلم امره ﷺ أمته بقول:«آمين» اذا قرأ الامام:﴿ولا الضالين﴾ من سورة الفاتحة. والله اعلم وأحكم وقد قال تعالي: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾.

(المقاطعة التجارية ليست من الشرع ولا من العقل)

الغلوّ في الدين : تجاوز لحدود الشريعة وتقرُّب إلى الله بما لم يأذن به الله بحسن نيّةٍ وقصدٍ في غالب الحال ، وحسن النيّة والقصد لا يغني عن حسن العمل بالاتباع لا بالابتداع ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ ، والتَّقرّب إلى الله بغير شرعه غُلُوٌّ في الدين ، والدعوة إلى ذلك قول على الله بغير علم ، ومعظم الشرك فما دونه من البدع نتج عن حُسْن النيّة مع الجهل ، قال الله تعالى عن شرّ خلقه: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء من دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

وقد فرح كثير من المسلمين باتّفاق كلمة المنتمين إلى الإسلام على مقاطعة البضائع الدنمركية على اختلاف فِرَقهم وطوائفهم وجماعاتهم وأحزابهم وظنّوا ذلك من علامات الهدى، و رأى بعض طلاب العلم الشرعي وجوب المقاطعة

إذا كانت مؤثرة، كأن النتائج تحلّ الحرام أو تحرّم الحلال.

واختلف رأيي عن رأي الكثيرين فردَدْت الأمر إلى **الله (كتابه) وإلى رسوله (سنته) فوجدت ما يلي :**

١) قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ، وكثير من آيات الكتاب المحكمة تبيّن أن الصّالحين ﴿ قَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ وأن ﴿ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٢) وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته «ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » ، و« ولا تزال طائفة منها على الحق » .وكما أن هذه الأمة (فقهاؤها في القرون الخيّرة بخاصة) لا تجتمع على ضلالة ، فهي كلها لا تجتمع على هدى، بل إن فرقةً وطائفة واحدة تكون « على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم من الأفراد والفرق والطوائف والأحزاب، بل إن أكثر هؤلاء المخالفين لمنهاج النبوة والصّحبة والاتّباع « سيتّبعون سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى والمشركين شبراً بشبر وذراعاً بذراع » كما دلّت الأحاديث في الصحيحين وغيرهما .

٣) خير عصور المسلمين عصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم عصر خلفائه ثم عصر الحسن ومعاوية رضي الله عنهم ثم عصر التّابعين حتى آخر الخلفاء الاثني عشر من قريش رحمهم الله جميعاً. ولم تخل ولاية من هذه الولايات من منافقٍ أو خائنٍ أو عاصٍ أو خارجٍ على السّنّة أو الجماعة (بل عليهما معاً) أو جاهلٍ، وإنما يُعتدّ بأولي العلم أهل الحلّ والعقد، وأكثر النّاس في كل عصر ليسوا من أولئك كما تقدم.

٤) النتائج لا تصلح دليلاً على الخير أو الشرّ، فقد يؤيّد الله الإسلام بالرجل الفاجر، ويأتي الرسول من أولي العزم من الرسل يوم القيامة وليس معه إلا قليل من المؤمنين بعد الدعوة الصالحة إلى الله مئات السنين، ويأتي النبي وليس معه أحد، كما دلت الآية والحديث.

٥) لا أعلم سلفاً للمقاطعين إلا مشركي قريش حين حُصِرَ النبي صلى الله عليه وسلم ومن شايعه من المؤمنين والكافرين في الشِّعْب بمكة المباركة قبل الهجرة، ومقاطعة الهند (بقيادة غاندي الهندوسي) بضائع وخدمات انكلترا، ومقاطعة الأمم المتحدة دولة جنوب أفريقيا العنصرية، ومقاطعة أمريكا ليبيا والعراق ونحوها، ولا أعلم بينها

من حقّق غايته غير أتباع غاندي من الهندوس لما تميّزت به الصوفية الوثنية في الهند من صبر على شظف العيش واعتياد على قلة الأثاث والمتاع؛ ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ ﴾ .

٦) قد يتشبّث المقاطعون برواية من روايات السِّيَر والتواريخ عن قصة ثمامة بن أثال ، كعادتهم : العمل على غير هدى من الله ثم البحث عن دليل ولو كالقشّة لمحاولة النجاة من الغرق وستر عورة الجهل. ولو ثبت مقاطعة ثمامة رضي الله عنه مشركي قريش بمنعه قومه من بيعهم الحنطة فإنما هي مثل مقاطعة المملكة المباركة في عهد الملك سعود رحمه الله بعض دول أوروبا عام ١٣٧٦ بمنعه بيعهم البترول ثم في عهد الملك فيصل مقاطعة أمريكا عام ١٣٩٣ إعانةً للعرب في مصر وفلسطين ؛ فإنه سيّد قومه لا فرداً من الغوغاء . ولم ترتبط قضية ثمامة رضي الله عنه بأمر ولا فعل ولا تقرير من النبي صلى الله عليه وسلم. - فيما علمتُ - إلا بالشفاعة لقريش وأمره بإنهاء مقاطعتهم إذا صحّ هذا الجزء من الرواية

٧) ولو كان للنتيجة أو التأثير علاقةٌ بحكم المقاطعة شرعاً، (وقطعاً لا علاقة) فإن النتيجة كانت شرّاً على

الإسلام والمسلمين: -الرسوم الكاركتيرية التي اقترفها صحفي علماني في جريدة دنمركية لا يقرؤها إلا قليل من الناس في منطقة واحدة من العالم تتكلم لغةً لا يعرفها إلا أهلها ، وبَقِيَتْ قريباً من أربعة أشهر لا يُعْرف عنها شيء خارج أرضها، حرّك الهوى والشيطان عربياً هاجر من أرض البركة والقداسة إلى أرض العلمانية والنصرانية من أجل المال - كما يقول عن نفسه -، وعرفْتُ عنه من بعض دعاة السنة الصحيحة أنه من أكثر أقرانه حقداً على علماء ودعاة السنة ؛ فأخذ هذه الرسوم وأضاف إليها رسوماً لم تُنْشر وإنما ادّعى أنها أُرْسِلَتْ إليه بالبريد ، ونَشَرَها في كل بقعة في العالم ، فهو حقيقة تَوَلَّى كِبْر نشرها أكثر من الصّحفي العلماني فكان كمن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا (بل والذين كفروا)، وما دفاعه ونصرته وذبّه المزعوم عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا كمثل ما تقول الأسطورة عن الدّبّ الأحمق الذي رضخ رأس المحسن إليه بقصد حمايته من ذبابة وقعتْ عليه ، بل يضرب أهل مهجره بمثل حماقته مثل السَّوْء فيقولون: (بمثل هذا الصديق لا تحتاج إلى عدوّ) لأنه صديقٌ بقوله عدوٌ بفعله وقوله وفكره ، هدانا الله وإياهم جميعاً وتجاوز عنّا وعنهم وعاملهم بنياتهم فلعلّها خيرٌ من عملهم.

- تسببت المقاطعة التجارية وسَحْب السفراء (وأسوأ منهما تحريق الأعلام والسفارات وقتل الأبرياء) بإثارة الحقد على الإسلام والمسلمين ونَقْل الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم أو اتّهامه بالإرهاب من جريدة مغمورة في منطقة نائية ولُغَةٍ مجهولة إلى جميع الجرائد والفضائيات ومراكز التّهريج والمهرّجين في كل بقعة في العالم وبكلّ لُغَة إلا ما شاء الله ، وتسابق أتباع كل ناعق (من الأصدقاء الأعداء المنتمين للإسلام والمدّعين نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبّته) على نشرها في الجوّالات والمساجد والمراكز الإسلامية .

- وأضَرَّت المقاطعة بتجارة المسلمين قبل غيرهم فامتنع أكثر الجهلة عن شراء بضاعة المسلم التي استوردها من الدنمرك قبل أن ينفخ شيطان الهوى والجهل في نار الفتنة، رغم كثرة الأحاديث الصحيحة عن شراء واستعارة واستدانة النبي صلى الله عليه وسلم بضاعة المشرك واليهودي والنصراني وقبوله الهدية إذا جاءته من أحدهم فضلاً عن مطلق التعاون معهم جميعاً على البرّ والعدل والإحسان ،ومات رسول الله ﷺ ودرعه مرهون عند يهودى في ثلاثين صاعاً من شعير والمحاربون من

اليهود يزرعون خيبر للمسلمين- وأضَرَّت المقاطعة بفهم المسلم للإسلام (الولاء والبراءة والمحبة والنّصرة والتّضحية) فخالف كثير من الحركيين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين وفي توجيه المسلم إلى الدّفع بالتي هي أحسن، بل خالفوا كتاب الله في ذلك كله ودعوا النّاس إلى التي هي أسوأ . واهون ما رأيت من هذه الزوبعة ما نُقِل عن أحد التجار استعداده لتمويل محاكمة المجرم الدنمركي لو جاز اللجوء إلى محكمة الطاغوت. وأعجبني خطيب جُمُعَةٍ أخطأ بإثارته القضية الظنّية في خطبة الجمعة وهي العبادةً التي لا يصلح لها إلا اليقين ، ولكنه أصاب جزاه الله خيراً بتحذيره من نشر الصّور المجرمة في الجوالات والأماكن العامة، وتحذيره من اتّهام من لا يرى المقاطعة أولا يأخذ بها بعدم محبّة الرسول ونصرته .

وأذكر – قبل بضع عشرة سنة – أن دولة مسلمة سحبت سفيرها لتمنع الدولة الأخرى محطةً تلفزيونية من نشر فلم سينمائي ساقط من الدرجة السفلى فكانت النتيجة: رفْعه للدرجة الأولى ، وجذْب من لم يكن ليشاهده إلى مشاهدته ، ونشره في حينه لأن دول الديمقراطية لا تملك

منع وسائل الإعلام الخاصّة (وكلها إلا النّادر خاصّة) من نشر ما ترغبه وبخاصّة إذا وُجد التّحدّي وهُدِّدت حرّيّة التعبير المشئومة التي تفتح أفواه الإعلاميين وتُكْسِبهم قُوْتَهم والله الهادي إلى سواء السبيل .

الخلافة في الأرض

قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي : قوماً يخلف بعضهم بعضاً (ابن كثير)، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ وقوله تعالى لعاد: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ وقوله تعالى لثمود: ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ ﴾ وقوله تعالى لأمة محمد: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ وليس المراد بالخليفة (في الآية الأولى) آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ وآدم مُنَزَّه عن ذلك (القرطبي) .

والاستخلاف في عمارة الأرض وفي المال وفي الحُكْم ابتلاءٌ من الله لكل مُسْتَخلف عن عباده كما قال الله تعالى: ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى لداود: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى عن سليمان :

﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ :

١) وقد غلب على كثير من مسلمي العصر الخلط في فهم معنى الخلافة فحصروها في الولاية الشاملة لجميع بلدان المسلمين ، وظنّوها وحدها الصّيغة الشرعية للحكم، مما أدى ببعض شباب الأمة – الذين رزقهم الله من الحماس ما لم يرزقهم من العلم والتثبّت – إلى رفض غيرها من صيغ وعناوين الولاية. وأثناء تطلعهم واستعجالهم هذا النوع المثالي من الحكم أسقطوا شرط الرّشد والهداية فعدّوا السلطنة العثمانية (غير الرّاشدة وغير المهدية) آخر خلافة شرعية .

والخلافة والاتحاد – مثل التعاون – قد تكون على البرّ والتقوى أو على الإثم والعدوان .

٢) وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه أن «خلافة النبوة [الرّاشدة المهدية] ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء »، رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم بإسناد صحيح ؛ وهي ولاية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم وهم الذين ميّزهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: « عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعدي»، رواه أحمد

وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم .

٣) ولكن ثبت في الصحيحين قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يكون بعدي اثنا عشر خليفة من قريش » وفي رواية : « لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش » وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الأربعة وضِعْفُ عددهم من ولاة العهد الأموي، ومن هؤلاء الثمانية: الصّالحون ومنهم دون ذلك، تجاوز الله عنا وعنهم ، وليسوا مثل الأربعة السّابقين ومع ذلك وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعليهم جميعاً بالخلفاء ، وبأنّ الدّين قائم في ولا تيهم.

٤) وعلى هذا فليس لفظ الخليفة المطلق ولا غيره دليلاً على صحّة الولاية ولا فسادها ؛ وقد اصطفى الله طالوت مَلِكاً يقاتل في سبيل الله (لا في سبيل الأرض والهويّة العربية)، وزاده بسطة في العلم والجسم ، وكان من جنده داود عليه السلام وآتاه الله المُلْك والحكمة وعلّمه مما يشاء . ووصف الله ولاية سليمان عليه السلام بالمُلْك إذ ورث أباه داود في العلم والحكم والنّبوّة . وخيّر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بين أن يكون مَلِكاً رسولاً وبين أن يكون عبداً رسولاً) فاختار صفة العبودية والرسالة، فيما رواه الإمام أحمد وغيره .

٥) والإمامة (أو الخلافة أو الملك) تنال بالنصّ أو بالإيماء إليه كما في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، و باستخلاف مَنْ قبله له كاستخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، و بترك الأمر شورى بين عدد من الصالحين يختاره الخليفة السّابق كما فعل عمر رضي الله عنه ، و باجتماع أهل الحلّ والعقد (لا الغوغاء) على مبايعته أو مبايعة واحد منهم له ؛ فيجب التزامها عند الجمهور وحكى إمام الحرمين الاجماع على ذلك، و بقهر واحد النّاسَ على طاعته فتجب طاعته درءاً للشقاق والاختلاف نصّ عليه الشافعي (ابن كثير) . وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا سنة خلفائه الراشدين ولا فقه أئمة الدين في القرون المفضّلة بل ولا في القرون العشرة بعدها ما يشرع الولاية بعدد أصوات الناخبين فضلاً عن تفضيلها ، وإنما ذلك تقليد للقوانين الأوروبية وتحكيم لرأي الأكثريّة وقد قال الله تعالى عن أكثر الناس أنهم : ﴿ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ ، ﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿لاَّ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ .

٦) وأكثر الأخطاء في فهم معنى الخلافة انتشاراً: اتباع القول بأنها(خلافة عن الله في أرضه) تعالى الله عن

الحاجة إلى استخلاف أحدٍ من عباده عنه فهو العليم الخبير، وهو السّميع البصير، وهو مع كل خلقه بعلمه وحكمه وتدبيره، ومع صالحي عباده بتوفيقه ونصره .

٧) ومما تقدّم يتبين خطأ من ظنَّ أن اختيار معاوية رضي الله عنه (فمن بعده) ابنه للحُكْم من بعده خروج عن (قاعدة الإسلام الأساسية في الحكم : اختيار المسلمين المطلق) كما أخطأ في ظنّه أن الحاكم في الإسلام يتلقى الحكم من مصدر واحد : (هو إرادة المحكومين) ، وأن الطريقة الصّحيحة لاختيار الحاكم : (أن نستشير الجميع بالطريقة التي تكفل الحصول على آراء الجميع) وأن (النبي لا يملك أن يؤمّر أحداً دون مشورة المؤمنين) فوراثة الحكم جائزة بنصّ الآية : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ ، ولم يؤمّر النبي صلى الله عليه وسلم خليفة له من بعده (بمشورة ولا بدونها) نصّاً صريحاً، ولكن إنابته أبا بكر رضي الله عنه لإمامة المسلمين عنه في مرضه إشارة واضحة لأهليّته وأولويّته في تولّي الأمر بعده. وعلى هذه السّنّة عهد أبو بكر بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عن الخليفتين. وقد شرع الله الشورى بين المسلمين، ولكن نتيجتها غير ملزمة لولي

الأمر؛ إذ خالف أبو بكر أكثر الصّحابة (أو كلهم) في محاربة مانعي الزكاة، بل خالف من لم ير منهم تولية عمر رضي الله عنهما

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وصحبه وأتباعه إلى يو م الدين .

الفهرس

تأسيس..... ٥

أسس الدعوة ٦

طريق الرسل في الدعوة..... ٨

حكم الدعوة ٩

متطلبات التنفيذ..... ١٠

معوقات الدعوة..... ١٢

منهاج النبوة في الدعوة إلى الله... ..... ١٤

خلق الدعوة..... ١٤

لمن توجه الدعوة..... ١٦

علم الدعوة..... ١٨

أساس الدين في كل رسالات الله..... ٢٧

وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلهاً وَاحِداً..... ٢٩

دين الله واحد ٢٩

أصل الرسالات واحد..... ٢٩

منهاج الدعوة واحد..... ٣١

توحيد الرب المعبود ٣٣

الأمر الأول..... ٣٣

الأمر الثاني..... ٣٤

الشرك بالرب المعبود ٣٦

الشرك الأكبر ٣٦

الشرك الأصغر..... ٣٨

التوحيد أعظم طاعة والشرك أكبر معصية.....٣٩

الولاء والبراء..... ٤٢

مقالات من مشكاة الدعوة على منهاج النبوة..... ٤٧

الدعوة والدعاء من شرع الله لجميع عبادة..... ٤٩

الدروز في مرآة بعض ولاتهم..... ٦٠

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم..... ٦٨

مناظرة أهل الكتاب..... ٨٠

كيف نتلو القرآن حق تلاوته..... ٨٥

المقاطعة التجارية ليست من الشرع ولا من العقل..... ٩٣.

الخلافة في الأرض..... ١٠١